



مجلة محكمة متخصصة في الكتاب وقضاياها
تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف
أسست عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

الربيعان - الجماديان ١٤٢٣هـ
مايو - يونيو / يوليو - أغسطس ٢٠٠٢م

العددان الخامس والسادس
[عدد مزدوج]

المجلد الثالث والعشرون

من محتويات العدد

فهمهم الاشتغال الصرف وتطوره في كتب النحوين

تطوير الموارد البشرية في قطاع المعلومات

في نظرية الرواية وتقنيات السرد وأاليات

* كتاب معاني الحروف المنسوب إلى الرمانى

* الرسول صلوات الله عليه في المدينة لعلى حسني الخريوطى



00183607

15 20 23 07

الرسول ﷺ في المدينة

لعلي حسني الخريوطلي

محمد بن فارس الجميل

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

الخريوطلي ، علي حسني / الرسول ﷺ في المدينة - ط ١٠ - القاهرة : مطابع دار الأهرام التجارية ، د . ت - ٢٧٩ ص .

كتاب الرسول ﷺ في المدينة يمكن إدراجه ضمن مجموعة الكتب والدراسات التي تعالج سيرة الرسول ﷺ في التطور المدني . والكتاب على الرغم من فائدته إلا أنه لم يسلم من بعض أوجه النقص التي يمكن إيجاز البعض منها على النحو التالي : - في حديث المؤلف عن غزو الخندق أو الأحزاب قال : استمر اليهود في عدائهم للرسول ﷺ وال المسلمين على غير هدى ، ورأوا أن يضعوا أيديهم - وهم أصحاب دين سماوي - في أيدي الوثنين المشركين من أهالي مكة . فقد خرج من المدينة نفر من زعماء اليهود ، فيهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن أخطب النضري ، وهودة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، وهم من زعماء يهود بنى النضير وبنى وائل ، خرجوا إلى مكة لقاء المشركين ، وتحزيب الأحزاب ضد الرسول ﷺ وال المسلمين .

عاد فيه من الخندق وقال له : إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة . فخرج منادي الرسول ﷺ في الحال ينادي في أرجاء المدينة . أن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بنى قريظة . فحاصرهم رسول الله ﷺ وحلت بهم الهزيمة وجاء فيهم قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ ظَاهِرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ ثم أن الرسول ﷺ لم يعمل على إجلائهم من المدينة بل قتل المقاتلة من رجالهم واستحثيا نسائهم وأولادهم حيث باعهم في أسواق النخاسة . وذلك جزاء خيانتهم وغدرهم بال المسلمين . - وفي ص ١٣٦ تحدث المؤلف عن "غزوة بنى قرد" ، والدارس في مصادر السيرة النبوية لا يعرف شيئاً من الغزوات بهذا الاسم بل المشهور : غزوة الغابة أو غزوة ذي قرد ، ويقال قُرُد بضمتين .

- وفي ص ١٤٨ - ١٤٩ في حديث المؤلف عن عمرة القضاء قال واصفاً المسلمين عند دخولهم مكة : "واخترقوا أبواب مكة في ملابس الإحرام وأستنتم تلهم بشكر الله وحمده . واعتنق بعض أهل مكة الإسلام" . لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر السيرة النبوية ما يفيد أن بعض أهل مكة اعتنق الإسلام في تلك

والمعروف أن أولئك الرهط خرجوا من خير وليس المدينة .

- في ص ١٢٧ قال المؤلف : وتعجبت قريش نفسها من إبداء هؤلاء اليهود ، ولهم كتاب ودين سماوي ، العداء للإسلام وهو دين إلهي أيضاً .

وفي الحقيقة لو كانت قريش مُقرةً أن الإسلام دين إلهي لما حاربته .

- في حديث المؤلف عن الخندق (ص ١٢٩) قال : تحمل المؤمنون متابع كثيرة ، فقد هبت عليهم رياح باردة ... فقد أوشكت أجسامهم أن تتجمد ببرداً ، وقطع الأعداء طريق المؤنة عنهم . ولم يوضح المؤلف من المقصود بالأعداء وما الطريق الذي قطعوه عنهم .

- وفي ص ١٢٤ بعد حديث المؤلف عن انسحاب الأحزاب قال : "ورأى الرسول ﷺ وقد حرق الله له الانتصار ، أن يعاقب يهود بنى قريظة على موقفهم العدائى ، وعلى غدرهم وخيانتهم ، ونقضهم العهد للرسول ﷺ وال المسلمين ، فعمل على إجلائهم تماماً عن المدينة" .

وهذا قول يفتقر إلى الدقة . فإن عقوبة بنى قريظة لم تكن بمبادرة شخصية من الرسول ﷺ بل بأمر إلهي عندما جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ في اليوم الذي

إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فابت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوتها" ٥١/٣ .

وفي ص ١٩٣ ، يذكر الخريوطلي أنه " لم يكن لبني قينقاع حصون ولا معاقل ، وإنما كانوا تجارةً وصياغاً .

ولا أدرى كيف وصل إلى هذا الاستنتاج ؟ ألا يحتاج التجار والصائغة إلى القلاع والمحصون ؟

المعروف أنه لم يكن لهم زروع ونخل مثل اليهود الآخرين ، بنو قريطة والنضير فقد قال عنهم الطبرى : " وَغَنَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ رَسُولُهُ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَرْضُونَ ، إِنَّمَا كَانُوا صَاغِةً ... " الطبرى ٤٨١/٢ .

- وفي ص ١٩٤ ، ذكر المؤلف أنه بعد موقعة أحد وما أصاب المسلمين فيها قدم على الرسول ﷺ " وَفَدَ مِنْ مَدِينَتِي (عضل) وَ (القارة) يَعْلَمُونَ إِسْلَامَهُمْ ... " .

والمعروف جيداً أن عضل والقارة قبيلتان وليستا مدینتين . ومن الطريف أن المؤلف في حديثه عن يوم الرجيع ذكر عضل والقارة وقال في حاشية ص ١٢١ إنها قبيلتان وهم من بني الهون بن حزيمة [حزيمة] بن مدركة . ويظهر أن الخطأ الذي وقع فيه المؤلف يعود إلى اعتماده أحياناً على معلومات واشنطنون إرفنج فهو الذي ذكر في كتابه أن The inhabitants of two towns, Adhal and Kara sent a deputation to him ... " P. 110" .

- وفي ص ١٩٤ نفسها أشار إلى حادثة بئر معونة وخيانة بعض أعراب نجد وقال : " وَتَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْخِيَانَةِ فَقَدْ قَدْمَ بَعْضَ أَهْلِ نَجْدٍ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَتَظَاهَرُوا بِرَغْبَتِهِمْ فِي إِسْلَامٍ ، وَطَلَبُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَمْدُهُمْ بِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ لِيَحْمُوْهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ بِجَمِيعِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ .. " .

وهذه الرواية خلاف ما جاء في السيرة ، فالذي ذكره ابن إسحاق مخالف لذلك تماماً فقد قال : " قَدِمَ أَبُو بَرَاءَ عَامِرَ بْنَ مَالِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " .

المناسبة ، وقد أشار المؤلف إلى مصدره (ابن هشام : ١٢/٤) ولم أعثر في هذا الموضع على شيء يفيد بإسلام بعض أهل مكة .

- وفي ص ص ١٦٣ - ١٦٤ عندما تناول المؤلف موقعة حنين ذكر الجدال الذي حدث بين دُرِيدَ بن الصِّمَةِ وَمَالِكَ بن عَوْفَ النَّضِيرِ سَيِّدَ هَوَازِنَ فَقَالَ : " وَطَلَبَ مَالِكٌ مِنْ هَوَازِنَ أَنْ يَنْحَازُ إِلَيْهِ أَوْ إِلَى دُرِيدَ فَأَتَاهُمَا الْوَقْفُ فِي صَفِ مَالِكٌ فَقَدْ كَانَ شَاباً فَتِيَّاً فِي الْثَّالِثَيْنِ مِنْ عَمْرِهِ ... " ثُمَّ أَحَالَ الْمُؤْلِفَ الْقَارِئَ إِلَى ابن هشام : ٨٠/٤ - ٨٢ . والذِّي ذكره ابن هشام بهذا الخصوص أن مالكاً قال لقومه : " وَاللَّهِ لَتُطِيعُنِي يَا مَعْشِرَ هَوَازِنَ أَوْ لَا تَكُنُنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِيِّ . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرِيدَ بْنَ الصِّمَةِ فِيهَا ذَكْرٌ أَوْ رَأْيٌ ، فَقَالُوا : أَطْعَنَاكَ " .

وكما هو واضح من النص السابق فإنه لم يكن هناك مفاضلة بين زعامتين : زعامة مالك أو دُرِيدَ لاسيما وأن دُرِيدَ كما قال عنه ابن إسحاق : " دُرِيدَ بْنَ الصِّمَةِ شِيَخٌ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَرَى مِنْهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَكَانَ شِيَخًا مَجْرِيًّا " . ابن هشام : ٨٠/٤ .

- وجاء في خبر إجلاء بني قينقاع عن المدينة ص ١٩٢ ، قول المؤلف : أن بعض شباب يهود بهرم جمال فتاة عربية في سوق قينقاع فطلبوها منها أن تكشف الخمار عن وجهها " ثُمَّ غَافَلَهَا أَحَدُ الصِّيَاغِ وَرَبَطَ الْخَمَارَ بِالْمَقْعَدِ الَّذِي كَانَتْ الْفَتَاهُ تَجْلِسُ عَلَيْهِ بِحِيثِ إِذَا هَبَّتْ وَاقْفَهَ اِنْكَشَفَ وَجْهَهَا وَقَدْ تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ " .

السؤال هنا كيف يبهر اليهود جمال تلك الفتاة العربية وهي مخمرة وجهها ؟ ثُمَّ إن هذا الوصف المضحك للتحليل على كشف وجه تلك الفتاة أو السيدة العربية لم أجده إلا لدى واشنطنون إرفنج في كتابه حياة محمد ﷺ ، الذي قام الغريوطلي بترجمته إلى العربية . (انظر ص ١٦٢ من الترجمة) . أما ما جاء عند ابن هشام عن هذا الأمر فهو قوله : " كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنَقَاعٍ أَنْ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ قَدَّمَتْ بِجَلْبِهِ لَهَا ، فَبَاعَتْهُ بِسَوقِ بَنِي قَيْنَقَاعٍ ، وَجَلَسَتْ

المقريزي ، إمتناع الأسماع ١٢ / ١٧٤ .

ومرة أخرى فإنه يبدو واضحاً أن الخربوطي في نعته لقتلى بني عامر باليهود قد اعتمد في ذلك على واشنطن إرفنج فهو الذي ذكر أنهما يهود . انظر كتاب إرفنج MAHOMET وكذلك الترجمة العربية ، حياة P. 110 .

محمد : ص ١٧٤ .

- وفي ص ١٩٥ ، قال الخربوطي : "رأى الرسول ﷺ أن يعرف نوايا بني النضير ، فرأى أن يقوموا بدفع الدية لبني عامر ، وكلهم من اليهود .." .

والصحيح أن بني عامر لم يكونوا يهوداً بل عرباً وشين .

- وأخيراً في ص ٢٠٠ ، ناقش الخربوطي خيانة بني قريظة واستنزل الرسول ﷺ لهم من حصونهم وأخذهم إلى المدينة ، ثم تنفيذ الإعدام برجالهم وذكر أنه في ذلك الموقف وجه الرسول ﷺ حديثه لابن أخطب زعيم بني النضير قائلاً : "أما والله ما ملت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يُخذل ."

والعلوم لدى كل دارس للسيرة أن هذا القول لحيي ابن أخطب موجهاً للرسول ﷺ . انظر ابن هشام ٢٥٢/٣ .

وفي الصفحة نفسها ذكر الخربوطي أن رسول الله ﷺ في ذلك الموقف "أي في تلك اللحظات التي يُقتل فيها بنو قريظة ، وجه حديثه إلى سائر الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل" .

والمعروف أيضاً أن هذا قول حبي بن أخطب حين قدم للقتل وليس بقول الرسول ﷺ . انظر ابن هشام ، ٢٥٢/٣ . هذا ما أسعف به الوقت من ملاحظات على كتاب الرسول ﷺ في المدينة لمؤلفه علي الخربوطي . والله أعلم بالصواب .

عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يُبعد عن الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوهم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لله ، فقال رسول الله ﷺ : إني أخشى عليهم من أهل نجد" ثم بعث معه أربعين رجلاً . انظر : ابن هشام ، السيرة ١٩٣/٣ - ١٩٩ .

ومن هذا النص يتبيّن لنا أن الرجال الذين ذهبوا مع أبي براء لم يذهبوا معه لحمايته من أعدائه بل ذهبوا دعاء إلى الله !

وقد جاء الخربوطي بهذا التفسير من واشنطن إرفنج ، فقد تحدث عن قوم بعض أهل نجد إلى النبي ﷺ وكانتوا يتظاهرون بالإسلام ، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل معهم من أصحابه ليحموهم من أعدائهم ، وأرسل الرسول ﷺ جماعة وغدر بهم أهل نجد وقتلواهم ما عدا واحداً . انظر : واشنطن إرفنج في كتابه - MAHOMET . P. 110 وقارن : ترجمة الخربوطي ، حياة محمد ، ص ص ١٧٣ - ١٧٤ .

- وذكر الخربوطي في ص ١٩٤ أن "عمرو بن أمية الذي استطاع الفرار وهرع إلى المدينة .. التقى برجلين يهوديين من بني عامر ، غير مسلمين فظن أنهما ينتميان إلى أعدائه ، وأراد أن يأخذ بثأر إخوانه المسلمين القتلى ، فقتل هذين اليهوديين" .

المعروف أن العامريين الذين قتلهم عمرو بن أمية لم يكونوا يهوديين بل إن قبيلتهما بني عامر كانت مرتبطة بحلف مع يهود بني النضير . وقد قال الرسول ﷺ لعمرو بن أمية عندما جاءه بسلب القتيلين العامريين : "بئس ما صنعت ! قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار ! لأدينهما . وأخرج ديهما دية حرين مسلمين .." انظر :

المصادر

وقارن :

- Washington Irving . Successors Mahomet and His... , (١٩٧٠ : Wisconsin) .

- السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٣ ، ٤ .

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ج ٢ .

- تاريخ الرسل والملوك ، للطبرى ، ج ٢ .

- إمتناع الأسماع ، للمقريزي ، ج ١ .